# دور المنارة الدينية في تأصيل الشعور بالواجب

**د.هاجر الطيب عمران**
**كلية الآداب الزاوية–جامعة الزاوية**

**المقدمة:**

تعد المنارة مؤسسة دينية وعلمية واجتماعية، تبلورت واجباتها وأنشطتها ووظائفها وتجذرت داخل الأمة الإسلامية بصفة عامة، وداخل المجتمع المغربي عامة وليبيا بصفة خاصة ممّا جعلها تساهم في مختلف اهتماماته المادية والمعنوية، بل والتعبير عنها بصدق وموضوعية ولا شك أنَّ من أهم تلك المهام وأنبلها ما قامت به المنارة في المغرب العربي بشكل عام، وليبيا بشكل خاص، من تدعيم وترسيخ للثقافة الإسلامية الصحيحة الأصلية ونشرها، سواء تعلق الأمر بالعقيدة أو بالفقه وأصوله أو بالتربية الصوفية، ذلك أنَّها في تلك المهام ظلت تستمد أصولها ومنابعها من الكتاب والسنة، وعمل السلف الصالح.

فلا خلاف في أنَّ المنارة أولاً مؤسسة دينية تمارس فيها العبادات من صلاة وتلاوة القرآن والأذكار، ومن اعتكاف فضلاً على أنَّها مدرسة للعلوم، فهنالك تلازم عميق وترابط وثيق بين المنارة ووظيفتها الدينية والعلمية، إذ تنطلق من تربية روحية ومعرفية في آن واحد، وتستهدف المريدين وتقوي إيمانهم بالله تعالى طبعاً بتعلم شرع الله.

فالمنارة لم تفصل بين رسالتها الدينية ومهمتها العلمية، بل أعطت للمهتمين بها صورة واحدة عن الإسلام الصحيح الذي لا يقبل التجزئة أو الفصل بين الإيمان والعلم والعمل. وعليه فالمنارة هي مدرسة تربوية وأخلاقية وعلمية واجتماعية. تهدف إلى تهذيب النفس، وإلى تأصيل الشعور بالواجب وبناء الإنسان والرقى بمستواه النفسي والروحي.

يهدف هذا البحث إلى التعريف بمنهج المنارة التربوي والأخلاقي، والعلمي والاجتماعي ودورها في غرس وتأصيل المبادئ والقيم، كما يهدف إلى الإجابة عن السؤال التالي: كيف ساهمت المنارة العلمية في تأصيل الشعور بالواجبات المختلفة من تربوية، وأخلاقية، وعلمية. واجتماعية؟

ولذلك انتهجت في هذا البحث المنهج التحليلي الوصفي فقمت بتقسيم البحث إلى الآتي:

**أولاً- المنارة العلمية ذات واجب تربوي:**

المنارة العلمية هي مدرسة لتهذيب النفس، وفيها تروض الروح وتسعى نحو الكمال بالابتعاد والتخلّي عن الرذائل، والتحلّي بالفضائل وهذا هو الطريق إلى الله والتقرُّب إليه، لذا تعدَّدت أساليبها ومناهجها وقواعدها لأداء واجباتها الكثيرة منها التربوية والأخلاقية والعلمية والاجتماعية. فللمنارة منهج تربوي تتبعه وتسلكه للوصول إلى نشر مبادئها وتأصيلها، وتعليم أورادها(*)، وهو سبيلها لتكوين المريدين يقول الدكتور عمر التومي الشيباني: إنَّ التصوف حركة تربوية في جوهرها، ترمي إلى تصفية القلب وسمو الروح وتهذيب الخلق، وصيانة الجوارح من كل انحراف ومعصية، فهو تخليه من الأدران والانحرافات الروحية والتدريب على العبادة والالتزام بالفضائل(1).

ومن أهم أهداف المنارة التربوية التربية ثم التعليم ،أيّ تربية النفس على المبادئ القويمة، لتتحقق الغاية التربوية وهو واجب من واجبات المنارة ولا يأتي ذلك إلا بالتزكية النفسية وقد أوجب الله على النفس التزكية وعرض عليها بعد ذلك الترقية فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾،[سورة الأعلى، الآية:14-15]، وقوله تعالى:﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية:133]، وقولة تعالى:﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [سورة الذاريات، الآية: 50]، فالبداية تزكية للنفس وتطهيرها ودونها لا يجوز إذ لابد من الاقتداء بشيخ يستطيع أن يأخذ بيد المريد عبر رياضات عملية متنوعة من صلاة وصوم وذكر

،وقيام ليل وهى في الأصل فروض وعبادات، ويصعد سلم الرياضات تلك إلى رياضات نظرية وهو ما يسمَّى بالمقامات من توبة وزهد، وورع وصبر، ورضا وغيره كل ذلك بالدربة والمران يتخلَّص المريد من الإمراض القلبية من حسد، وعجب، ورياء وكبر، وتتزكى نفسه وتتخلَّص النفس من صفاتها الناقصة[2]، يقول الشيخ زروق رحمة الله: "ضبط النفس بأصل يرجع إليه في العلم والعمل لازم لمنع التشعب والتشتت، فلزم الاقتداء بشيخ قد تحقق إتباعه للسنة، وتمكنه من المعرفة ليرجع إليه فيما يرد أو يراد مع التقاط الفوائد الراجعة لأصله من خارج، إذ الحكمة ضالة المؤمن، وهو كالنخلة ترعى من كل طيب"[3].

فكيف يتحقق الدور التربوي للمنارة والذي بها يتأصل الشعور بواجبها التربوي؟

لا يتحقق هذا إلا بتلقين الشيخ لمريده وتعليمه كيفية الذكر ، وإرشاده إلى فعل الخير وتأدبهم بالأسوة والقدوة ، كما أراد الله فمن آدابهم مع شيوخهم ومن تأديب الشيوخ لهم بأذكارهم وأورادهم، وإرشادهم إلى فعل الطاعات والتوبة عمَّا قاموا به من أفعال مخالفة للشريعة الإسلامية ثم يأخذ العهد كما يقول الشيخ القطعاني: العهد يكون على الامتثال لأمر الله تعالى فعلاً وتركاً فإذا عاهد المريد الشيخ على الالتزام بنوع خاصمن الطاعة يصبح ملزماً بالوفاء والالتزام به[4]. وصفة الوفاء من نتاج التربية النقية وقد ورد النص عليها في قوله:﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾ سورة الإسراء،الآية34].

يتضح أنَّ دور المنارة التربوي يتجلَّى واضحاً، كواجب تأصل فيها و بجميع المنظمين إليها، وارتقى بهم لكل خلق طيب وهذا يتعدَّى دورها إلى شيء أكبر من ذلك ألا وهو الشعور بالواجب تجاه كل منحرف وغير سوى أخلاقياً، فهي جذبت عدد كبير من المنحرفين عن السلوك السوي، وأصلحت نفوسهم وهذبتها وأصبحوا عناصر خير فعَّالة في المجتمع، أي أنَّ الدور التربوي للمنارة ساهم في تنقية المجتمع من عناصر السوء[5].

إذن من الواضح من الدور التربوي للمنارة العلمية الصوفية يتضح أنَّها عاملة وغير متواكلة بمعنى أدَّت واجبها حتى في فترة الاحتلال الاستعماري وما حمله معه من تحلل وعادات مخالفة للدين الحنيف فهي عاملة كيف؟

هذا الاتجاه ابتكره الشيخ أحمد الرفاعي(**)، فكان جوالاً في خدمة الأيتام والأرامل والضعفاء حيث أنَّه كان في خدمة المحتاجين وهذا كله عباده وقربَّى من الله.

الشعور بالواجب الأخلاقي للمنارة تجلَّى من خلال دورها التربوي، وبهذا رسمت الطريق العملي الذي يوصل المسلم إلى أعلى درجات الكمال الإيماني والخلقي وليس كما يظن البعض من الناس على أنها قراءة أوراد وكثرة ذكر و حسب. بل على العكس من ذلك هي عابدة عاملة مجاهدة.

**ثانياً- المنارة العلمية ذات واجب أخلاقي:**

الأخلاق نتاج التربية وهي واجب من واجباتها ووسيلة لغاية من الغايات التي تسعى إليه أو يتحقق من خلال العبادات- (الرياضات العملية من صلاة وصوم وذكر...)، والمجاهدات الروحية (أي المقامات من توبة، ورضا، وصبر، وورع، وما يتجلَّى بعدها من أحوال من خوف وشوق، وحب...) - بمقتضى كتاب الله وسنة نبيهﷺ، ومن هذه الغايات تطهير النفس وتزكيتها، والتخلِّي عن عيوب النفس من حسد وحقد وصد كل مغريات الانحراف السلوكي، والتحلِّي بالفضائل التي دعا إليها الدين من خشية لله وحسن معاملة وصفاء السريرة(6). هنا يتبادر على الذهن السؤال التالي: متى تكون المنارة العلمية قد أدت واجبها الأخلاقي. ومتى تكون عاملة بكتاب الله وسنة نبيهﷺ؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول إنَّ ذلك يكون بمعالجة عيوب النفس بالمجاهدات والرياضات كأجمل ما تكون المعالجة، ويكون المريدون قد ارتبطوا بشيخهم وتأدبوا معه تأدبهم بالأسوة والقدوة كما أراد الله، فمن آدابهم مع شيوخهم أخذهم بأذكارهم وأورادهم، وعلى هذا النحو يكون قد امتلأت إسفارهم وعقولهم من هذا الأدب، وجاءت

الأوراد، والأدب الذي هو نتاج ذلك على ما خلَّفه الشيوخ لمريديهم، وما حمله الأتباع عن المريدين، فهذا فن ووحده أدب، فالمنارة بشيوخها هي من تحث المريد على تقويم أخلاقه ومتى ما استقامت الأخلاق انعكس ذلك عليه كمريد وعلى مجتمعه بالخير والنفع.

يقول الإمام الشوكاني في هذا الصدد:" إنَّ أول الأشياء ترك المحرَّمات ما ظهر منها وما بطن، إنَّ أغلب المصائب إنَّما تأتي من المعاصي الباطنة، أمَّا الظاهرة فقد يمنع منها الحياء والمروءة. فوجبت طهارة الباطن فهي أساس الهداية. والرياء من أشدها فهو مبطل للعمل، موجب للإثم، وهو من أضر المعاصي الباطنة، وكذلك الظن السيئ والحسد"[7]، قالﷺ: "لايزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا"[8]، وقوله ﷺ: " لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا..."[9] وفى العفو والتواضع قولهﷺ: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه"[10]، ويقول الإمام الشاذلي كذلك: "سبعة أشياء أيُّها المريد تقطع عن الاتقاء بالتوبة وهى : الحقد والحسد، والعجب، والرياء، والكبر وحب المحمدة ولذة الرئاسة، ومن كان يدعو الله وبقلبه ثلاثة أمور فهو زنديق الافتخار بالعلم ،وسوء الخلق وسوء الظن بالله"[11].

يتضح أنَّ المنارة العلمية لها واجبها التربوي والأخلاقي الذي هو نتاج التربية السليمة في كل منارة، وعلى هذا النحو تكون أدَّت واجبها، كما يجب كعاملة في المجتمع في الحث على التمسك بقيم الإسلام النبيلة، فكانوا قدوة طيبة لأفراد مجتمعهم. والقدوة هي التي يتمكَّن بها المصلح الاجتماعي من أداء رسالته، لذلك كانوا قدوة للمجتمع في زهدهم وكرمهم وتوادِهم. إذ يقول أحد المتصوفة في هذا الصدد: "ترك الدنيا للدنيا فالشر من أخذها"[12].

وعلى هذا النحو يتحقق مجتمع فاضل متى ما سار على الهدى النبوي، حقق كل واجباته التربوية والأخلاقية، وكان لها بالغ الأثر –المنارة– في تهذيب النفس البشرية

،والسمو الخلقي لأفراد هذا المجتمع. صحيح أنَّ من المريدين من بالغ في تعبده ولكن الاعتدال خير منهاج شرعي قويم[13].

من الواضح أنَّنا عندما نشير للمنارة العلمية في المغرب العربي عامة وليبيا خاصة، على أنَّها كانت مدرسة تربوية أخلاقية فقد أصّلت ذاك الشعور الطيب بواجباتها، فظلت ولازالت عاملة بكتاب الله وسنته، فساهمت في إرشاد الناس إلى الخير والنفع ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

**ثالثا– المنارة العلمية ذات واجب علمي:**

المنارة العلمية نبع من العلوم بها ازدهرت وأصّلت شعورها بذاك الواجب للداخل إليها من المريدين فكيف ذلك؟

ما من منارة علمية إلا وارتكزت على العلم، فهو منهاج لها فالتصوف له قواعد وأصول لا تخالف الشريعة الإسلامية، بل كلها تتفق معها فيقول الشيخ الزروق : "فلزم العمل بالإسلام، فلا تصوف إلا بفقه، إذ لا تعلم أحكام الظاهر إلا منه، إذ لا حقيقة للعلم إلا بالعمل، ولا عمل إلا بصدق التوجه..."[14].

من الواضح وما هو معروف أنَّ الطريق إلى التقرب إلى الله لا يكون إلا بالعلم، وهو وسيلة المريد لمعرفة الله تعالى حق المعرفة وتقربنا إليه لا يتم إلا به. فكان ازدهار الحياة العلمية في المنارة بفضل جهود شيوخها الذين برعوا في كافة العلوم الدينية من قراءات، وحديث، وعقيدة، وفقه، كما كان هناك نظم الشعر الصوفي مَّما كان له بالغ الأثر في ازدهار الأدب وتنوعه، وللمنارة دور في تعليم الأطفال أيضاً وأعدته واجباً من واجباتها. وهذا ما اتسمت به المنارة العلمية في ليبيا[15].

وقد اشتملت العلوم النقلية أو الشرعية على: علم التفسير، علم القراءات، رسم المصحف، علوم القرآن، علم أصول الفقه (ويتفرع عنه علم الفرائض)، علم الكلام، علم اللسان العربي، علم التاريخ ،علم تعبير الرؤيا[16].

هذه العلوم على سبيل المثال لا الحصر، فالتاريخ زاخر بسير هؤلاء فالإمام الغزالي كان من كبار المتصوفة ومن أكبر الفقهاء والفلاسفة ثم هو من أكبر علماء

التصوف، والشيخ أحمد زروق –رحمة الله– من كبار العلماء وهو من أبرز علماء التصوف أيضاً، والشيخ عبد الحميد يربوع كان له دور ثقافي أيضاً، والإمام ابن القيم من كبار أئمة الفقه وكتابه: (مدارج السالكين) من أفضل ما كتب في مجال التقرب إلى الله وكل هؤلاء كانوا منارا للعلم[17]. ونبع في علوم القرآن، وعلم الأصول والعقيدة بالمغرب الشيخ أبو العباس بن العريف وأبو الحجاج بن يوسف بن موسى، فالأول: تبحر في علم القراءات، أمَّا الثاني: فقد تبحر في علم التوحيد، كما تبحروا في علم الحديث والفقه، وكانوا على المذهب المالكي الذي كان منتشراً آنذاك[18].

يتضح أنَّ المنارة العلمية أكدت على طلب العلم بجميع فروعه العقلية والنقلية، وأكدت على تأصيل الشعور به كدور ليزدادوا يقيناً من قدرة الله تعالى، وقرباً إلى الله جلت قدرته.

**رابعاً– المنارة العلمية ذات واجب اجتماعي:**

المنارة وفق لأدوارها المتعددة فهي مدرسة دينية مجالها الحيوي هو النشاط الاجتماعي لكل داخل إليها. ومن هذا المنطلق فالمنارة كالحياة تماماً فاتحة ذراعيها لكل المريدين، فأصلت الشعور بتلك الواجبات من تربوية، وعلمية، وأخلاقية واجتماعية التي تمخض عنها الصدق، والإخلاص، والحرص الشديد على هداية الناس والأخذ بأيديهم إلى رحاب التقوى والعمل الصالح الذي يرضى عنه الله ورسولهﷺ. من هنا يصبح العود بالمريد إلى الفطرة السليمة المفعمة بالتوحيد بشكل جامع ومتخصص.

**ويمكن أن نطرح سؤالنا التالي: وهو ما الذي يحدث حين يتأصل ذاك الشعور بالواجبات؟**

متى ماعمَّ التآخي بين مريدي المنارة ستظهر الروح الاجتماعية في قمة جماليتها، وكل واحد منهم سيتحمل المسؤولية في أداء واجبه المكلف به من أعلى هرم في المنارة إلى كل المريدين باختلاف رتبهم ووظائفهم ومن خدمة المريد لنفسه ومن ثم جماعته وهذا يعود بالنفع للمجتمع ككل، وهذا ما سيلحظ من القيم التي

غرسوها في المجتمع، والتي تؤكد تأصيل الشعور بالواجبات الإنسانية كواجب إعانة المحتاجين والضعفاء والتعاون على البر والتقوى، وعلى فعل الخير وترك الشر وأهل الشعوذة من السحرة وما ينتج عنهما من شتات للأُسَر وفساد للمجتمع، وقد ضرب أصحاب المنارات القدوة الطيبة في السلوك والسمو الخلقي في هذا الجانب خصوصاً[19].

فكيف يقول البعض بأنهم قوم متواكلون؟ وهم من ضربوا المثل في البذل والعطاء والعمل! .

فهم من غرسوا في مجتمعهم المحبة في الله، وليس لغرض من أغراض الدنيا سواء الشيوخ أو مريديهم فحثوا على البذل والإنفاق في سبيل الخير [20].

ومن بين المهام الاجتماعية التي تظهر لنا دور المنارة في تأصيل الشعور بواجباتها ما يلي:

أ- حاربوا الكبر داخل المجتمع وحثوا الأفراد على التواضع الذي يرفع من منزلة الإنسان، لأنَّ التكبُّر على الناس منازعة لله تعالى في كبريائه، وذلك تحقيقاً لقوله تعالى :﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ سورة القصص، الآية:83]، ويقول الشيخ أبو مدين في هذا الصدد: "لا ينفع عمل مع كبر، ومن أراد أن يلحق بأهل الطريق فلا بد له أنْ يزيل ما به من الكبر"[21].

ب- التكافل والرعاية الاجتماعية لديهم سلوك للتقرب إلى الله والعمل على مرضاته ودعماً لهذا الدور فقد قاموا بالحث على الصدقة والإحسان العام إلى الفقراء كما جاء في قوله تعالى :﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ﴾،[سورة التوبة، الآية:60]، وقوله تعالى :﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ سورة البقرة الآية:177] ، وكل زاوية تتحصل على الصدقات التي يتبرع بها الناس وهي بدورها تتبرع بها على مريديها كزاوية بن شعيب بمدينة الزاوية وهذا منهج كل زاوية [22]، وكذلك شيوخ منارات المغرب الغربي الذي كان الكثير منهم يتصدقون كالشيخ أبو إسحاق الذي كان يتفقد أبناء الأيتام ليعطف

عليهم ويتصدق وغيره كثر، كالصوفي أبو عمران الذي باع أرضاً له وتصدق بها على المساكين[23].

ت- ومن القيم الاجتماعية التي أصلتها المنارة من خلال تأصيل تلك الواجبات ، إيثار الغير على النفس في أداء الحقوق والخدمات، يعنى إيثار الإنسان لغيره فيما يحتاج إليه من أمور الدنيا. وهذا أعلى درجات المعاملة مع الناس[24].

من الواضح أن المنارة ظلت ولازالت عاملة بكتاب الله وسنة نبيه الكريم، وليس كما ادعى البعض. و في هذا الأمر أنَّ هناك من المتصوفة من خرج عن جادة الصواب وخرجوا عن الكتاب والسنة في أفعالهم ونصوص أورادهم، ولكن من المنارات من كانت ولازالت قائمة بواجباتها انطلاقاً من إحساسها بكل ما تقوم به، فأصلت ذاك الشعور الرامي لكل القيم من الحق، والخير، والجمال.

فلما يحاول البعض إخفاء ما فعله الخيرون من مشايخ المنارات ونسيانهم والتغافل عنهم.

ث- ومن القيم التي غرستها المنارة العلمية انطلاقاً من أن لها واجبات اجتماعية تقوم بها،من إعانة المحتاجين والضعفاء تنفيذاً لأمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى وعلى فعل الخير وترك الشر وقد ضرب المتصوفة أمثلة طيبة في هذا المجال في كل الشمال الإفريقي من مصر شرقاً وحتى المغرب غرباً، كالمنارة الزروقية في مدينة مصراته، وبن شعيب في مدينة الزاوية بليبيا، والتيجانية المصرية بمصر بشيخها الحالي أحمد محمد التيجاني وفى الجرائر وغيرها كثير هذا على سبيل المثال لا الحصر[25].

ج- ومن الوجبات الاجتماعية للمنارة كذلك نصر المظلوم لأنَّ الظلم مهلك لعامة الناس فتحتم عليهم التعاون فكانت ساعية دوماً لتلبية مصالح الناس، ومقابلة الإساءة بالإحسان إنصافاً للنفس وإنصافاً للناس[26].

ح- كما كان للمنارة العلمية دور كبير في الحث على مقاطعة الآفات الهدامة التي سادت المجتمع، وهو واقع معاش في أيامنا هذه، من أعمال للسحر ونبش للقبور

لقوله تعالى :﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ سورة يونس: الآية،77] وقوله تعالى:﴿ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ سورة يونس: الآية ،81]هو يعد من إحدى واجباتها الاجتماعية، فكانت قدوة لإفراد المجتمع في بغض الفواحش وهدمها والتمسك بقيم الدين السامية[27].

خ- كما تدرجت انطلاقاً من تأصيلها لتلك الواجبات في التدرج المنهجي في الإصلاح وحرصت على عدم الاختلاط بالنساء والاختلاء بهنّ، وغض البصر عنهن لأن الله نهى عن الفحشاء والمنكر في قوله تعالى :﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾،[سورة الأنعام ،الآية :151] .

د- ومن الواجبات الاجتماعية التي حاولت المنارة العلمية تأصيلها تحري الحلال في كل معاشهم والابتعاد عن الشبهات فالحلال بيّن والحرام بيّن[28].

ذ- ومن المنارات التي أدت واجبها وأصلت شعورها به، وأعدّته من أحد مسؤولياتها الطريقة السنوسية التي أعدها الدكتور الشيبي من أعظم الطرق في شمال إفريقيا لجمعها بين الجانب العملي والنظري لقيمة العمل والأخذ به من زراعة أو حصاد أو جني للزيتون فضلاً عن أدوارها الجهادية التي لا ينكرها التاريخ [29].

يتضح مما سبق أن المنارة العلمية ذات واجب اجتماعي، حاثة على أعمال البر والخير، مؤكدة بذلك على مبدأ التكافل الاجتماعي والرعاية الاجتماعية التي يأمرنا بها الإسلام وكل هذا يجعل الناس يعيشون في محبة ووئام. وهو سلوك اتبعه كل من بالمنارة -من الشيخ والمريدين والإتباع-على أنهم مسئولون عن راحة الجماعة وسعادتها فارتفعت مكانتهم لعظم ما قدموه من خير ونفع.

**الخاتمة:**

من خلال تناولنا لهذا البحث توصلنا إلى الآتي:

1- المنارة العلمية أصّلت واجباتها وأكدتها لإيمانها بها فضلاً على أنَّها مبادئ وقيم إسلامية أصلية وجدت في مجتمعنا منذ انتشار الإسلام بين أفراده فتمسكوا بهذه القيم داخل مناراتهم لنشرها في مجتمعهم لأنها قيم إسلامية من هدى الكتاب والسنة وقد رفعت هذه القيم من أصحاب المنارات ومريديهم، فأصبح لهم وزنهم داخل المجتمع وثقلهم لأنهم كانوا ولا زالوا عناصر فاعلة في كل أوجه الحياة.

2- أنَّ دور المنارة التربوي يتجلى واضحاً، كواجب تأصل فيها وبجميع مريديها وارتقى بهم لكل خلق طيب وهذا يتعدى دورها إلى شيء أكبر من ذلك ألا وهو الشعور بالواجب تجاه كل منحرف وغير سوى أخلاقياً، فهي جذبت عدد كبير من المنحرفين عن السلوك السوي، وأصلحت نفوسهم وهذبتها وأصبحوا عناصر خير فعالة في المجتمع، أي أنَّ الدور التربوي للمنارة يسهم في تنقية المجتمع من عناصر السوء. فالمنارة العلمية الصوفية يتضح أنَّها عاملة وغير متواكلة بمعنى أدت واجبها حتى في فترة الاستعمار وما حمله معه من تحلل وعادات مخالفة للدين الحنيف فهي عاملة في كل مناحي الحياة في خدمة الأيتام والأرامل والضعفاء، حيث أنَّها كانت في خدمة المحتاجين، وهذا كله عبادة وقربى من الله. وعلى ذلك فالشعور بالواجب الأخلاقي للمنارة تجلى من خلال دورها التربوي الذي رسمت به الطريق العملي الذي أوصل المؤمن إلى الكمال الإيماني والُخلقي فأصبحت روحه عابدة عاملة ومجاهدة.

3-عالجت المنارة عيوب النفس بالمجاهدات والرياضات، وهذا أدى إلى ارتباط المريدون بشيوخهم واتخاذهم قدوة لهم، فامتلأت إسفارهم وعقولهم من هذا الأدب الذي هو نتاج ما خلفه الشيوخ لمريديهم وما حمله الأتباع عن المريدين فهذا فن أدب، فالمنارة بشيوخها حثت المريد على تقويم أخلاقه، لأنَّ استقامت الأخلاق تنعكس على المجتمع بالخير والنفع.

4- أكدت المنارة على أنَّ الطريق للتقرب إلى الله يكون بالعلم، وهو الوسيلة لمعرفة الله تعالى وتقربنا إليه لا يتم إلا به. فكان ازدهار الحياة العلمية في المنارة بفضل جهود شيوخها الذين برعوا في كافة العلوم الدينية من قراءات وحديث، وعقيدة، وفقه، كما كان هناك نظم الشعر الصوفي ممَّا كان له بالغ الأثر في ازدهار الأدب وتنوعه والقيام بتعليم الأطفال الذي أعدته واجباً من واجباتها.

5- كان للمنارة العلمية دور كبير في محاربة العديد من الظواهر الهدامة وهو يعد من إحدى واجباتها الاجتماعية، فهي قدوة لإفراد مجتمعها في الحث على بغض الفواحش كالسحر والربا وغيره لقوله:ﷺ "اجتنوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن، قال: الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات" (30) فكانت متمسكة بقيم الدين السامية ولازالت.

**الهوامش:**

(*) الورد: مجموعة النصوص النظرية التي يقدمها الشيوخ لمريديهم وهى أوراد تقرأ إما صباحاً، وأما مساء. بحسب نظام كل منارة أو زاوية.

1-عمر التومي الشيباني: دور التراث في تأكيد الأصالة، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية، 2000، ط1، ص137.

أعمال ملتقى التصوف الإسلامي العالمي، 16-17سبتمبر، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية، 1995، ص502.

أحمد زروق: قواعد التصوف، بيروت، دار الجيل،1992، رقم القاعدة 66.

أحمد القطعاني: الحجة المؤتاه، مصر،1992،ط2،ص172.

التادلي: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبى العباس السبتى تحقيق أحمد التوفيق، الرباط، 1983،ص222.

(**) هو صاحب الطريقة الرفاعية بالعراق ولها فروع عدة وتنتسب لأبو العباس أحمد عمر التومي الشيباني، دور التراث في تأكيد الأصالة،1961.

6-أحمد القطعانى: الحجة الموتأة، مرجع سابق ،ص172.

7- قطر الولي على حديث الولي، تحقيق، إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة ،1977، ص460.

8- أخرجه المنذريفي الترغيب والترهيب عن حمزة بن ثعلبة،ص373،/3،رقم الحديث، 4578، القاهرة، 2002.

9- رواه مسلم كتاب البر والصلة والأدب باب استحباب العفو والتواضع رقم الحديث، 2588.

10- رواه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب باب تحريم التحاسد والتباغض،،رقم الحديث، 2588.

11- عبد الحليم محمود: أبو الحسن الشاذلي، مصر، دار المعارف، 1970، ص80.

12- أبو مدين: شرح الحكم العارف أبى مدين للشيخ أحمد بن عبد القادر، 1227هـ، ص102.

13- التادلى :التشوف إلى رجال التصوف مصدر سابق،ص170،156،118.

14- أحمد الزروق: عدة المريد الصادق تحقيق الصادق الغريانى، طرابلس، مكتبة طرابلس العالمية، 1996،"1،ص38.

15- حسين سيد عبدا لله: المتصوفة في المغرب الأقصى في عهد المرابطين والموحدين مصر ،معهد البحوث والدراسات الإفريقية،القاهرة1994،ص116.

16- ابن خلدون: المقدمة، بيروت دار الجيل،ص451.

17- محمد عادل: التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية الهيئة المصرية للكتاب،1987، ص71.

18- جمعة محمود: التصوف والطرق الصوفية في ليبيا، طرابلس جمعية الدعوة الإسلامية ،2004، ص126.

19- ابن بشكوال: الصلةج2، مصر ،مكتبة العطار الحسيني، 1955، ص664.

20- التادلى: التشوف إلى رجال التصوف مصدر سابق،ص،21.وأيضا ابن الآبار: المعجمفي أصحاب القاضي على الصوفي،1885،85،84.

21- التادلى : التشوف إلى رجال التصوف مصدر سابق،ص،109-233-407.

22- نفس المصدر،ص254.

23- محمد الطوير :الزاوية تاريخ وحضارة، الزاوية، مطابع الوحدة العربية، 2005، ط1، ص99.

24- التادلى: التشوف إلى رجال التصوف مصدر سابق،ص254.

25- حسين السيد عبدا لله: : المتصوفة في المغرب الأقصى في عهد المرابطين والموحدين مرجع سابق ،ص90.

26- الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفأس، فأس، ج3، 1899، ص52-53.

27- التادلى: التشوف إلى رجال التصوف مصدر سابق،ص199.

28- نفس المصدر، ص239.

29- كامل مصطفى الشيبى: صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، بيروت دار المناهل،1997،ط1،ص175.

30- رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المتحاربين من أهل الكفر والرده باب رمى المحصنات وقول الله عز وجل رقم الحديث6857.